إسهامات ابن خلدون في ميادين علم الاجتماع

Ibn Khaldoun's contributions to the fields of sociology

إعداد:

د. عبدالفتاح عبدالرحيم جبريل محمد: م اضـ في ق عل الاج اع، ل ة الآداب، جامعة بـ غاز ، ل ا.

Dr. Abdelfattah abdelraheem gerbil: Lecturer at department of sociology, Benghazi University, Libya

الملخص:

يعتبر العلامة العربي عبدالرحمن بن خلدون واحداً من أبرز الشخصيات العلمية التي كان لها صدى كبير في مجال علم الاجتماع، بل هو من وضع أسس قيام هذا العلم كنوع جديد من المعرفة من خلال كاتباته وافكاره حول اسس علم الاجتماع، التي شكلت الانطلاقة الاولى لفكرة قيام علم مستقل بذاته مختص بدراسة التجمعات البشرية، ومن هذا المنطلق تمحور هذا البحث حول اسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع، من خلال التطرق الى اهم ما قدمه ابن خلدون في مجال تأسيس العلم، بالإضافة الى استعراض اهم إسهاماته في تحديد موضوع علم الاجتماع، ودوره في بروز نظريات علم الاجتماع، وميادين علم الاجتماع ومجالاته، وتهدف الدراسة الى التعرف على اهم اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، كما تهدف لتسليط الضوء على دوره في بروز علم الاجتماع كعلم مستقل بذاته، وقد تم الاعتماد على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، عن طريق جمع المادة العلمية وسردها بشكل منظم وبتسلسل فكري حسب عناصر الموضوع وتفصيلاته، وقد تم تقسيم البحث الى المقدمة التي تتضمن منهجية البحث واهدافه، بالإضافة الى فكرة عن الموضوع، ومن ثم المتن الذي يتضمن عناصر الموضوع، النتائج والتوصيات، واخيرا قائمة المراجع التي تم الاستعانة بها.

الكلمات المفتاحية: اسهامات ابن خلدون، علم الاجتماع.

Abstract:

Abdulrahman Ibn Khaldoun, one of the most prominent scientific figures, which had a major resonance in the field of sociology, but is one of the foundations of this science as a new type of knowledge through its writers and thieves on the foundations of sociology, which formed the initial start of the idea of science Independent self-contained in the study of human communities, including this research on the contributions of Ibn Khaldoun in sociology, by addressing the most important thing by Ibn Khaldoun in the establishment of science, as well as reviewing its most important contributions to the identification of sociology, and its role in the emergence of theories Sociology, Meeting of Sociology and its areas, and the study aims

to identify the most important contributions of Ibn Khaldoun in sociology, as aimed at highlighting its role in the emergence of sociology as an independent science, and the use of analytical descriptive curriculum has been rely on. Scientific and structured instruments according to themes and implications. Similarity, to throw light on the efforts of this special role in sociology and the social studies in this kind of areas, and finally the list of references that were used.

Keywords: Sociology, ibn khaldun achievements

المقدمة:

تشكل الحضارة العربية إرث غني مليء بالمعارف والآداب التي كانت تعبر عن فترة ازدهار علمي وفكري كانت ولازالت اثارها موجودة حتى وقتنا الحالي، فلقد برز عديد علماء العرب في شتى مجالات المعرفة وفروعها وكانوا سباقين في ازدهارها بأعمالهم وافكارهم ومدوناتهم التي كانت مرجعية لكل طلاب العلم حول العالم، ويشكل العلامة العربي عبد الرحمن احد العلماء العرب الذين دونوا اسمهم في تاريخ الإنسانية لم قدمه من أراء علمية وأفكار متميزة ساهمت في ميلاد علم جديد يختص بدراسة التجمعات البشرية وما ينجم عنها من ظواهر اجتماعية، حيث اسماه بعلم العمران البشري الذي يعتبر في تلك الفترة بمثابة قفزة كبيرة في تطور العلوم الانسانية حيث كانت بصيرة ابن خلدون وملكته قادرة على تصور نمط حياة المجتمعات وكيفية تطورها وما يحدث فيها من مشاكل وعقبات تأثر عليها وعلى مدى استقرارها، فعلم الاجتماع لم يظهر عند ابن خلدون الإ بعد فترة طويلة من العمل الجاد والبحث والتقصي في تاريخ الدول ومراحل تطورها مع مرور الزمن، وتغير شكل الحياة فيها مع ظهور أحداث جديدة كالحروب والهجرة والمرض وغيرها، كل هذا الإرث الفكري شكل الانطلاقة الاساسية والركيزة الفكرية لابن خلدون لاكتشاف فكرة وجود علم معين يكون في مضمونه مختص بالعمران البشري وتطوره.

وقد شكلت مقدمته المشهورة التي احتوت فصول تعكس تاريخ الحياة الاجتماعية في عصره واحد من اهم المؤلفات الفريدة التي اتسمت بالطابع العلمي، والتي تميزت عن غيرها من المؤلفات كونها انتهجت فكرا مميزا اساسه التحقق والتمحيص في الحقائق التاريخية والظواهر الاجتماعية، فقد

تضمنت مقدمته فصول تحدثت عن عدة قضايا مهمة في تلك الحقبة التاريخية من الزمن، حيث تطرقت الى الدولة وكيفية تأسيسها وقيامها، كما خصص فصولا للحديث الى مراحل الحياة الانسانية وكيفية حياتها وانتقالها من الشكل البسيط الى الاشكال الاكثر تطورا والتي كان معيار النحل مهما عنده في تصنيف تلك المجتمعات.

ويتمثل موضوع الدراسة في إبراز إسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع كونه أعطى البداية الأولى التي ارتكز عليها علم الاجتماع من خلال ما نصت عليه مقدمته من نهج فكري بخصوص فهم طبيعة الظواهر البشرية وتفسيرها، والذي أشار فيه بوضوح لأن المجتمعات تحتاج لعلم يقوم بدراسة تطورها وهو العمران الذي يخضع لمقومات وعوامل تعمل على ازدهاره او اضمحلاله مع مرور الزمن، ومن هذا المنطلق تتمثل اهمية البحث في تسليط الضوء على اهم اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، من خلال طرح هذه التساؤلات وهي ما هو دور ابن خلدون في ظهور علم الاجتماع، وما هي اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع وازدهاره، وسيتم الاجابة عنها من خلال عرض تلك الاسهامات العلمية التي قدمها ابن خلدون، وذلك من خلال لإسهاماته في تأسيس علم الاجتماع وبداية الاشارة الى وجوده كعلم، بالإضافة الى استعراض اسهاماته في تحديد موضوع علم الاجتماع واهدافه، وتهدف الدراسة الى التعرف على اهم اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، كما تهدف لتسليط الضوء على دوره في بروز علم الاجتماع كعلم مستقل بذاته، وقد تم الاعتماد على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، عن طريق جمع المادة العلمية وسردها بشكل منظم وبتسلسل فكري حسب عناصر الموضوع وتفصيلاته، وقد تم تقسيم البحث الى المقدمة التي تتضمن منهجية البحث واهدافه، بالإضافة الى فكرة عن الموضوع، ومن ثم المتن الذي يتضمن عناصر الموضوع، النتائج والتوصيات، واخيرا قائمة المراجع التي تم الاستعانة بها.

التعريف بابن خلدون:

هو عبد الرحمن ابن خلدون ولد في تونس سنة (732)، هجري وقد اشتغل بعدة مناصب ادارية وتربوية ودينية مهمة وقد كانت اسرته متعلمة وقد توارثت العمل بالقضاء والسياسة، وقد درس الفقه والحديث كما الدرس الشعر والعلوم العربية، وكان قد درس الفلسفة وفن الكتابة مما جعله يجيد التأليف وتولى المناصب القيادية ثم سافر إلى فاس واشتغل مؤرخا، وانتقل مجددا إلى غرناطة وعاد مجددا الى المغرب ومكث بها اربع سنوات حيث تعتبر هذه بداية الجزء الاول من كتاب العبر وعاد إلى السفر مجددا حيث ذهب الى القاهرة إلى ان توفي هناك سنة (808) هجري (الدويبي، 2008، ص63).

من خلال ما سبق يتضح لنا دورة حياة ابن خلدون التي لعبت دور كبير في بلورة شخصيته العلمية ودعمت من حبه بالمعرفة وتقصي حقيقتها، فهو نشأ في بيئة متعلمة وكرس بداياته للخوض في عدة مجالات مختلفة من المعرفة مما فسح المجال أمامه لكي ينمي مداركه فيما يتعلق بالحكم والتفسير على الحقائق والظواهر الانسانية.

الانجازات العلمية لابن خلدون:

1- عمل ابن خلدون في حياته سفيرا وحاجبا وعضوا بمجلس العلماء عند عدد من السلاطين في تونس والمغرب وإسبانيا الإسلامية.

2- اشتغل بالسياسة والعمل في القضاء الشرعي.

3- يعتبر أحد أهم الفلاسفة الذين برزوا في المغرب الإسلامي أمثال ابن باجة والفيلسوف الصوفي محي الدين ابن عربي.

4- تعتبر مقدمة ابن خلدون اهم انتاج علمي في العصر الاسلامي الوسيط فهي ابتكار فريد في مجال فلسفة التاريخ والحضارة.

5-أرسى في مقدمته العديد من قواعد المنهج في البحث والتحقيق والنقد التاريخي والاجتماعي والسياسي والثقافي.

6- تعتبر نظريته في العمران البشري وحقائق الاجتماع والمعاش والدولة والسلطة والعصبية والبداوة والحضارة وعلاقة الانسان بالطبيعة وغيرها مما يؤثر في نشأة المجتمع.

7- تميز بالوضوح في افكاره وصواب آرائه واقتصاره على البحث والتحقيق في واقع الظواهر وقراءة التاريخ والعمران فيه.

8- صنفه الدراسون على انه هو من وضع فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع بحيث كان موضوعهم مستقل بمنهجه (شهاب، 2009، ص9-10).

وفق العرض السابق نستطيع القول أن ابن خلدون برز بشكل كبير في حياته كشخصية علمية من خلال اعماله التي قام بها والمناصب الادارية التي تقلدها، الامر الذي زاد من خبرته وجعله يفهم الاحداث بشكل عميق فهو عاصر السلاطين واستفاد من عمله في بناء تصوراته الفكرية حول استقرار وازدهار الدول وعواملها الاجتماعية والاقتصادية والتي كان لها أثر واضح في نظريته عن العمران البشري.

ابرز اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع:

اولا:ابن خلدون وتأسيس علم الاجتماع:

ابن خلدون وعلم الاجتماع ترك ابن خلدون العديد من مؤلفاته المهمةِ ككتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، وقد اشتهر الكتاب باسم (مقدمة ابن خلدون)، فكان هذ الكتاب من أكبر المساهمات التي قدمها في علم الاجتماع وعلم العمران، لهذا اعتبر ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع الذي نال إعجاب الحكماء والمؤلفين الغرب، فقد تمّ ترجمةُ حياة ابن خلدون بدقةٍ لتأريخ ما حدث في حياته ومعرفة تجاربه ورحلاته كاملةً، حيث كان المنهج العلمي والتاريخي الذي اتبعه ابن خلدون من المناهج التي ترتكز على الظواهر الاجتماعية المترابطة، فلكلّ ظاهرةٍ سببٌ وبنفس الوقت تكون سبباً للظاهرةِ التي تليها، لذلك جاء مفهوم العمران البشري على أنّه يشمل جميع الظواهر العمرانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وقد ذكر في كتبه الخلافة ومراتبها، وأكد على أنّ الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية، فكتب بها العديد من المقولات الاجتماعية والتي أصبحت فيما بعد لها مكانةً بارزةً، فاعتبرت من المقولات الخلد ونية البحتة لربط ابن خلدون لجميع الأحداث الهامة بالتغيرات الجذرية التي حصلت في العمران الحضري والعمران البدوي أو فقدان العصبية، وكانت المحور الأساسي في حياة المماليك والدول، فقام بشرحها وتبين العصبية والنزعة. اتسم ابن خلدون بالعديد من الصفات التي جعلت منه رائداً في الفلسفة، فكان له سعة كبيرة في الاطلاع ومراقبةِ أحوال البشر بقدراته الخارقة، وتميز بدقة النقد والملاحظة وقدرةٍ كبيرة على التفكير. فقد ذكر في مقدمة كتابه أنّ الفلسفةَ هي من أهمّ العلوم التي ستتطور مع تطور العمران، فحرص ابن خلدون على تجديد طريقةِ عرضهِ للنقد دائماً (لطفي، ص72).

وعلى الرغم من أن علم الاجتماع من العلوم التي كانت موجودة منذ وجود الإنسان على الكرة الأرضية إلا أنها لم تكن علم يعمل به أو يدرس به قبل ابن خلدون، وهو لم يقوم بدراسة ذلك العلم ومحاولة نشرة بل دعا أهل العلم إلى تكملة ما توصل والنظر إلى نظرياته وتصحيح ما جاء بها من أخطاء حال وجودها، وعلى الرغم من ذلك قد يرى البعض أن العالم الفرنسي كونت هو مؤسس علم الاجتماع دون الأخذ في الاعتبار أن كونت كون جميع نظرياته من خلال كتب ابن خلدون، وخلال دراسة ابن خلدون لـ علم الاجتماع فقد كان الإنسان الذي يعيش داخل مجتمع معين هو نقطة الانطلاق مؤكدا على أن الإنسان الذي يعيش داخل مجتمع معين لابد وأن يختلط بالشعب من حوله وحتى تستمر

العلاقات بين الناس وبعضها البعض لابد أن يكون هناك حاكم والذي يعمل على تأسيس الدولة ووضع القوانين بها (لطفي، ص73).

يتبين لنا مما سبق أن ابن خلدون لعب دور أساسي في ظهور وتأسيس علم الاجتماع من خلال كل الافكار التي طرحها في مؤلفه المعروف والذي تضمن في فصوله اشارات واضحة عن متطلبات الحياة الاجتماعية للإنسان، وكيفية التعايش كجماعة وحقيقة صعوبة عيش الانسان لوحده، حيث شكلت هذه الافكار الانطلاقة الاساسية لعلم الاجتماع اضافة لتطرقه لعلم العمران البشري حيث اشار لضرورة وجود علم يهتم بالظواهر الاجتماعية وكل ما يتعلق بالمجتمعات الانسانية من احداث وعلاقات متبادلة، أي انه كان السباق في اكتشاف العلم واهم مراحل نشأته هي انطلقت من مقدمة ابن خلدون.

ثانيا: ابن خلدون وتحديد موضوع علم الاجتماع:

قد كانت إسهامات ابن خلدون واضحة في مجال التاريخ، علم السياسة وعلم الاجتماع، مما قد دفع بعض العلماء لاعتباره مؤسس علم الاجتماع، وبخاصة أنه أعلن صراحة في مقدمته، أن أي علم جديد يجب أن يكون له موضوع محدد خاص به، وقد حدد هذا الموضوع الذي قدمه بالعمران البشري وما يعرض له من تغير، مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع: "كأن هذا علم منفرد بذاته، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو أمور، وهي حقيقة ما يتبعه من عوائق وأحوال لنفسه واحدة بعد أخرى، وهذا حال كل علم وضعياً أو عقلياً، وكأنه علم مستنبط النشأة"، توضح هذه المقدمة التي يقدمها ابن خلدون اهتمامه بتحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية؛ لكنه لم يعرف هذه الظواهر أو يبين خصائصها، حيث يرى بعض العلماء أن ابن خلدون يقترب في فهمه لموضوع أو ميدان العمران من دوركايم الذي ركز على أن المجتمع أكثر من مجموع الناس الذين يؤلفونه، فهو يشمل البناءات الاجتماعية، التي تأخذ أشكالاً متنوعة كالمؤسسات والجماعات المهنية، بالإضافة إلى موضوع العادات والتقاليد الاجتماعية (وصفي، 1971، ص172).

وفي هذا السياق فإن العمران البشري بالنسبة لابن خلدون "هو واقع لا يتحدد بالأفراد الذين يؤلفونه بل بالبناءات والجماعات التي تكونه"، وقد كانت نظرة ابن خلدون إلى هذه البناءات تشبه نظرة دوركايم إلى الظواهر الاجتماعية، فهي حقائق لها طبيعة خاصة ومميزات خاصة، إذ على الرغم من أنها ليست أشياء مادية بل اتفاقات، أو معانٍ مشتركة، إلا أن لها قوة الأشياء المادية في التأثير على سلوك الناس بشكل كبير، تصنيف الظاهرة الاجتماعية في علم الاجتماع عند ابن خلدون: ظواهر تتعلق ببنية المجتمع، مثل الظواهر التي تتصل بالبدو والحضر، وتوزيع السكان على الأرض،

وأثر العوامل الجغرافية على العادات والتقاليد. ظواهر تتعلق بالنظم العمرانية، وهي تختلف باختلاف وجوه النشاط العمراني فمنها ما هو سياسي، ومنها ما هو اقتصادي، وديني ولغوي (وصفي، 1971، ص173).

ونجد أن الأطوار التي مرت بها المجتمعات البشرية من وجهة نظر ابن خلدون: يقول ابن خلدون من وجهة نظره أن المجتمعات البشرية مرت بثلاثة أطوار رئيسية وهي كالتالي: طور النشأة، طور النضج والاكتمال، طور الهرم والشيخوخة. وقد قام ابن خلدون بتقسيم المجتمعات إلى قسمين رئيسيين وهما: القسم البدوي الذي يتصف بصفات الخشونة والشجاعة والكرم والعيش ببساطة، أما القسم الثاني فهو القسم الحضري، الذي يتصف بالتعقيد والمصالح الكثيرة والرقي والتخصص في كل شيء وقد اشار في مقدمته الى موضوع علم الاجتماع من خلال النقاط الاتية:

1- العمران البشري وهنا عمل ابن خلدون على دراسة المجتمع وكافة القوانين التي تحكمه من الداخل.

2- العمران البدوي والذي يعتبر أصل الاجتماع البشري اليوم وقد ذكر اهم الخصائص والمميزات لذلك العمران.

3- الملك والخلافة والدولة والتي تم من خلالهم دراسة أساسيات الحكم حيث أن ذلك الاجتماع يمثل الاجتماع السياسي.

4- العمران الحضري حيث قد أكد من ذلك الفصل من التأكيد من أن التحضر هو الأساس في التمدن وقد ذكر العديد من الظواهر التي تتعلق بالحضر.

5- الصنائع والمعاش وهنا بين ابن خلدون أن المشاكل الاقتصادية من شأنها التأثير على حالة المجتمع.

6- اكتساب العلم حيث تضمن ذلك الفصل الطرق الخاصة باكتساب العلوم وعلم على دراسة القانون والدين وعمل على الربط بينهم وبين الأخلاق والسياسة.

7- أول من وضع علم الاجتماع على اسسه الحديثة حيث اشار اليه في مقدمته قائلا الغرض من تأليف هذا الكتاب بروز علم مستقل بذاته موضوعه العمران البشري والاجتماع الانساني.

8- وأشار الى ان الاجتماع البشري ضروري لحياة الانسان وإن الانسان مدني بطبعه وان المدينة ضرورة للنوع للعيش فيها.

9- اشار الى الحياة الاقتصادية من حياة الافراد حيث خصص لها فصلا تحدث فيه عن المعاش والكسب وسبل العيش.

10- ركز على أهمية الربط بين التفكير السسيولوجي والملاحظات التاريخية من خلال الدراسية العلمية للمجتمع والبحث وراء أسباب الظواهر الاجتماعية.

11- ساهم في بروز علم الاجتماع بشكل اساسي واسس بداية علم الاجتماع العربي من خلال أفكاره والتي كانت تتسم بالصبغة الإسلامية.

12- تطرق إلى قضية جد مهمة وهي ان المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل.

13- توصل إلى عديد النظريات الباهرة على غرار نظريته حول العصبية في العمران البشري ونظرية بناء اطوار الدولة وعمارها وسقوطها.(وصفي، 1971، ص175).

بناءا على ما سبق يتضح لنا مدى مساهمة ابن خلدون في تحديد اهم مواضيع علم الاجتماع والقضايا التي تدخل ضمن نطاق اهتماماته العلمية حيث اشار الى ان العمران البشري هو اهم يمسه علم الاجتماع في مجال دراسته، وما ينجم عن هذا العمران من تجمعات بشرية تعيش وفق منظومة علاقات اجتماعية متبادلة مع بعضها البعض، كم ركز على الظواهر الاجتماعية كموضوع اساسي لعلم الاجتماع كونها تحدث في اطار التجمع البشري داخل نطاق العمران البشري للأفراد، ايضا إضافة الصبغة العربية والاسلامية على بداية علم الاجتماع من خلال تفسيره للظواهر الاجتماعية التي كانت في عصره مما مهد لعلم اجتماع عربي.

ثالثا: اسهامات ابن خلدون في نظرية علم الاجتماع:

أ- نظرية ابن خلدون السكانية:

يقدم لنا عبد الرحمن ابن خلدون المفكر الاجتماعي العربي، في غضون القرن الرابع عشر الميلادي، بعض الافكار التي اثرت فيما بعد في تطوير الاهتمام بدراسة السكان حيث يذهب ابن خلدون الى ان المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة، فالمرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات بما يؤثر على نمو السكان مما يزيد من عدد السكان والمرحلة الثانية مرحلة النضج والاستقرار ثم تأتي المرحلة الاخيرة من تطوره ويشهد ظروف ديموغرافية مخالفة تماما حيث ينخفض معدل الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات (بخته، 2017، ص14).

فقد طرح ابن خلدون هذه الملاحظات والقوانين التي طرحها تشكل نظرية سكانية لها مصداقيتها على واقع المجتمعات بصفة عامة والعربية والاسلامية بصفة خاصة، فقد تطرق لم يعرف حاليا بالتحول الديموغرافي ومختلف الظواهر السكانية من حجم السكان ونموهم والتي أصبحت محل اهتمام عام اجتماع السكان في الوقت الحالي. (الفائدي، 1997، ص66).

حيث نجد الدور الذي لعبه في بلورة نظرية السكان التي أشار لها من خلال تجربته الواسعة وتنقلاته العلمية بين عدة دول عاصر فيها احداث مختلفة، وهي أن كل مجتمع يمر بفترة نمو ونضج واستقرار ومن ثم مرحلة هرم واندثار كما ركز على ان السكان ينمو ويزداد عددهم عندما يكون هناك عمران بشري.

ب- النظرية التربوية لابن خلدون:

حيث ساهم ابن خلدون بشكل فعال في مجال علم اجتماع التربية بصفة خاصة وعلم التربية بصفة عامة والذي لم يكن معروف كعلم أكاديمي مستقل فقد عملت دراسات متعددة حول الفكر التربوي لابن خلدون والتي يمكن ان نلخصها في الأتي:

1- أن العلم ينقسم إلى علمين علم نقلي وعلم عقلي.

2- التدرج في التعليم حيث يقول ابن خلدون في الفصل السابع والثلاثون في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته.

3- البدء بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات.

4- يكون تعليم الصبي بداية بعض سور القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة الحفظ

بالنسبة الابن خلدون هناك علاقة أساسية بين المعرفة والتعلم والتدريس أو التعليم: فالمعرفة العلمية هي عملية بناءة ولا تنحصر في حفظ المعارف. (بخته، 2017، ص15).

5- ربط بين العلوم والعمران البشري حيث اشار الى ان العلوم تكثر وتتطور حيث يكثر العمران البشري وتعظم الحضارة بسبب العلوم.

6- يتطرق ابن خلدون إلى قضية مهمة جدا وهي طريقة التعامل مع المتعلم والتلميذ حيث يذكر في ان الشدة على المتعلم تضره (يعقوب، 2006، ص89).

مما سبق نستطيع القول ان ابن خلدون ارسى عدة قواعد تربوية مهمة في مجال التربية والتعليم حيث انه تطرق لمسالة التعلم والملكة التي قد يتمتع بها الفرد، كما مهد لتأسيس طرق تدريس حديثة

تعتمد على الاقناع وميول المتعلمين وتبتعد عن الشدة والاجبار في تلقي العلوم، حيث فسح المجال للربط بين علم الاجتماع وعلم التربية مسلطا الضوء على العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى.

ج- نظرية الدولة والعصبية عند ابن خلدون:

يخصص ابن خلدون الفصل الثالث من المقدمة للدول والملك والخلافة ومراتبها وأسباب وكيفية نشوئها وسقوطها، مؤكدا أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية. وقد اهتم بالعصبية اهتماما بالغا إلى درجة أنه ربط كل الأحداث الهامة والتغيرات الجذرية التي تطرا على العمران البدوي أو العمران الحضري بوجود أو فقدان العصبية، كما أنها في اعتقاده المحور الأساسي في حياة الدول والممالك، كما جاء في الفصل الأول من مقدمته في ان الملك والدولة العامة إنما يحصلان بالقبيل والعصبية. فالعصبية نزعة طبيعية في البشر، ذلك أنها تتولد من النسب وإذا كانت العصبية تقوم عند ابن خلدون على أساس صلة الرحم، والنسب، وأيضا على أساس الولاء والحلف، وكان الولاء والحلف يعبران عن شكل من أشكال التفاهم والاتفاق يمكن القول بان العصبية تقوم أيضا على أساس من التعاقد، على الأقل في جزء من مكوناتها، وهو الولاء والحلف. (بخته، 2017، ص18)

كما له إسهامات في ميادين أخرى مثل علم الاجتماع البيئة والعلوم الشرعية والطبيعية حيث عرف ابن خلدون البيئة في مقدمته بأنها مكان تتوافر فيه إمكانات معينة والإنسان وحده هو المهيأ للاستفادة من هذه الإمكانات وإحداث التغيرات فيها بحسب ما تتطلب ظروفه في المعاش والعمران البشري كما يجب أن لا ننسى نظريته الشهيرة والمهمة في الاقتصاد والتي لا زالت صالحة وفعالة إلى يومنا هذا. (الزوي، 1991، ص193).

نستنتج ان الفترة التي قضاها ابن خلدون في العمل السياسي كان لها الاثر البالغ في تطوير نهجه العلمي وتوسيعه نطاق تصوره لموضوع العمران البشري، الامر الذي جعله يربط بين تطور العمران وازدهاره وبين شكل الدولة ونظم الحكم السائدة فيها مما طور نظريته في اسس قيام الدول التي تشكل العصبية محورها فهي في ظل تعدد الانساب وعلاقات الدم تلعب دور كبير في بلورة نظام الحكم وشكل الدولة، أي أن العصبية تعتبر محددا اساسيا في إحداث تغيرات على ابعد نطاق في الدولة والتي من شانها ان تدفع بالدولة الى الازدهار والتطور او تقودها في حالات اخرى إلى الخراب والصراعات الدامية، فهي تدعم الولاء للدولة والسلطة الحاكمة وتزيد من امكانية التحالف مع السلطة الحاكمة.

رابعا: اسهامات ابن خلدون في تأسيس ميادين علم الاجتماع:

أ- اسهاماته في ميدان تاريخ الفكر الاجتماعي:

1- قدم دراسة تاريخية للمجتمع حيث اشار الى ان المجتمع يمر بثلاث مراحل متباينة وكل مرحلة حضارية ترتبط بالمرحلة التي تسبقها.

2- قسم المجتمعات الى انواع مختلفة وفقا لدرجة تقدمها الحضاري والاقتصادي والفني فابرز نوعين في المجتمعات البشرية عنده المجتمع الريفي وسماه المجتمع البدوي والذي يتميز بالعصبية، والثاني هو المجتمع الحضري والذي يتميز بالمستوى الاقتصادي وبدرجة كبيرة من التقدم الثقافي والصحي.

3- الحركة الاجتماعية عنده تكون في دورة مستمرة وتؤدي وظيفتها بشكل الي ودائم دون ان يكون لها أي توقف فهي ترتبط بالعمران.

4- الاجتماع الإنساني ضروري لأن الإنسان مدني بطبعه ويسير في شرح هذه القضايا على وتيرة أرسطو والفارابي ويؤكد على عدم كفاية الانسان لنفسه يقوده الى التعاون والاشتراك مع الجماعة في الحياة والعيش.

5- درس الظواهر الاجتماعية في حالتها الساكنة والمتحركة فكان يدرس الظاهرة ووظائفها واجزائها مما سهل من دراسة الاستاتيكا الساكنة في الوقت الحاضر.

6- اهتم ابن خلدون اهتماما ملموسا بنظم اجتماعية عديدة كالنظام السياسي والنظام الاقتصادي والعلاقات المتبادلة بينهما كما اهتم بالمقارنة بين المجتمعات البدائية والحديثة.

7- اشار في تحليلاته التي جاءت حول الأبعاد الاقتصادية، الثقافية والسياسية للمجتمع من خلال مشروع تحليل علمي للمجتمعات.

8- فتح المجال أمام عديد العلماء في مجال علم الاجتماع فنجد ان مؤلفه تم ترجمته من قبل دي سلان، وخصص له قومبلوفيتش العلم النرويجي فصل كامل فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية في كتبه حيث اشار الى اهمية منهج ابن خلدون في تفسير الظواهر الاجتماعية.

9- قدم تحليلات مهمة للمجتمع من خلال وضع النقاط على العلاقات الاجتماعية اكثر منه عن البنيات حيث اشار ان العلاقات دوما في حالة عدم استقرار.

10- تناول المجتمع الانساني من مفهومه العام وليس من مجتمع بذاته ويتضمن هذا ايمانه بان هناك قوانين عامة تشمل جميع المجتمعات الانسانية. (حنفي، 1998، ص144).

يتضح من العرض السابق دور العلامة ابن خلدون في بروز الفكر الاجتماعي وتطوره ووضعه في صورة مراحل معينة كل مرحلة فيها تتسم بطابع خاص ساهم في التمهيد للمرحلة التي تليها، فقد اعتمد في تفسيره ومقارنته للظواهر الاجتماعية في عصره في تحديد الارث الاجتماعي الذي كان انطلاقته في تصور علم العمران البشري، كما ان دراسته للأحداث التاريخية والكشف عن حقيقتها فتح المجال امامه لتقصي مراحل الفكر الاجتماعي وتاريخه ومهد لظهور ميدان الفكر الاجتماعي.

ب- اسهاماته في ميدان التغير الاجتماعي:

حيث يعتقد ابن خلدون ان التغير سمة اساسية مستمرة فالجماعة الانسانية لا تبقى على حالها ولهذا وضع نموذجا لبداية الجماعة وكيف انها عبر متصل تتحول تدريجيا مع مرور الوقت الى النموذج النهائي، حيث ان البداوة تمثل نموذج الجماعة بداية وتتحول لتصل الى النموذج الحضري، والبدو اصل المدن والحضر ومما يبين ذلك ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البداوة فالبدو متقدم في وجوده عن المدن، ولكنه يتحول مع مرور الوقت ليتبدل بالعيش والنحل ليصل الى النموذج الحضري ولان مبدأ التطور يمثل قانون الطبيعة، الذي ينطبق على كل أشكال الحياة، فانه يشمل التطور الاجتماعي. (بخته، 2017، ص16)

تتضمن محاولة ابن خلدون في تناوله لعملية التطور الاجتماعي جانبين، يشير الجانب الأول إلى أن التغير عملية طبيعية مستمرة، أما الجانب الثاني فيشير إلى التباين في عملية التطور بين الجماعات لاختلاف ظروفها، يشمل هذا التباين الاختلاف في درجة سرعة التغير منة جهة واتجاهه من جهة أخرى، للتغير لدى ابن خلدون أسباب خارجية وأخرى داخلية، تشمل الأسباب الخارجية علاقة الإنسان بالبيئة. (صباح، 2008، ص17).

من خلال هذا العرض نجد ان اعمال ابن خلدون لم تستثني ميدان مهم من ميادين علم الاجتماع ألا وهو التغير الاجتماعي، حيث بدا ذلك جليا في مقدمته عندما تحدث عن تطور المجتمعات من فترة لأخرى ولم يكتفِ بذلك بل حدد عوامل اجتماعية واقتصادية من شانها ان تسرع او تبطئ من وتيرة هذا التغير الامر الذي فتح مجال واسع لعيد الدراسات والابحاث في مجال التغير الاجتماعي وأهم ألياته.

ج- إسهاماته في ميدان علم الاجتماع الطبي:

و رغم أن المصادر الغربية ترجع ظهور علم الاجتماع الطبي في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية إلى الفترة التي تلت مباشرة الحرب العالمية الثانية، فإن المصادر العربية الإسلامية تحتوي على اشارات عميقة وعديدة عن علم الاجتماع الطبي عند العرب، ولا سيما عند الكتاب القدامى، الذين عاشوا بعد القرن التاسع الميلادي أمثال ابن سينا، ابن زهير الأندلسي، البغدادي، ابن قتيبة الصفا وغيرهم، فقد ابتدعوا نظريات جديدة وأحدثوا أساليب مبتكرة في العلاج فسوء الحالة الاجتماعية للطبقة العاملة عند بدء الثورة الصناعية وأثر ذلك على الحالة الصحية وانتشار الامراض دفع علماء الغرب إلى دراسة العلاقات الاجتماعية دراسة علمية منهجية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (بخته، 2017، ص17).

وفي هذا الصدد لا يفوتنا التنويه بأن دراسة ابن خلدون هي أقرب هذه الدراسات إلى المنهج العلمي، حيث جاء في أحد فصول مقدمته الشهيرة متحدثاً عن أهمية الطب في حياة الافراد وان العمران البشري يقل فيه الجوع وضعف البدن كما اشار اليه في مقدمته. (خليل، 2008، ص54).

من خلال عرض ابن خلدون للقضايا المتعلقة بالصحة للأفراد وحياتهم من غير التعرض للخطر والاصابات والامراض، فهو تحدث عن عديد الحالات التي تمس تناول الأدوية والأعشاب وكيفية التداوي وصحة البدن وعديد موجات الامراض والموت وغيرها في عصره مما قدم اشارة الى علاقة الحياة الاجتماعية لأفراد بصحتهم البدنية والعقلية.

د- اسهاماته في ميدان علم الاجتماع الحضري:

إذا كان علماء اجتماع القرن 19 قد ابدوا اهتماما بدراسة المدينة الغربية وما شهادته من تغيرات خلال مرحلة التحول التي شاهدتها تلك المجتمعات الغربية، فمن الجدير بالذكر التأكيد على أن الاهتمام بدراسة المدينة قد سبق كثيرا ظهور علم الاجتماع الغربي. فلقد حدد ابن خلدون أهل الحضر بأنهم هؤلاء الذين تعاونوا على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والبيوت الواسعة كما تناول ابن خلدون أيضا نشأة المدن والأمصار وما يجب مراعاته في أوضاع المدن من حيث الظروف المكانية نظرا لأثر المكان على بقاء هذه المدن ونموها. ومن ثم فان حديثه في هذا المجال يعد دراسة لأيكولوجية المدن كما انه اشار الى إن الفروق بين البدو والحضر ترجع إلى الاختلاف في مصادر الإنتاج والمهنة أساسا لذلك تعد افكاره حول خصائص المجتمعات البدوية وخصائص الحضر رائدة في مجال الدراسات الحضرية والريفية (بخته، 2017، ص17).

المدينة عند ابن خلدون هي مدينة علم ورفاهية، مثل ما هي جمهورية أفلاطون فهي جمهورية أفكار والحقيقة. فالمدينة هي نتاج المجتمع، والاقتصاد والعلم هما الأسس الحضارية والملك موجود من اجل توفيرهما والملك هو الممثل لأقوى تحالف أو تضامن للقوى الاجتماعية. (الفائدي، 2004، ص260).

الخاتمة:

نستطيع القول انى ابن خلدون كان له الفضل في تأسيس وتطور علم الاجتماع من خلال التطرق لعدة مواضيع فيه والتي شكلت فيما بعد اسس وركائز انطلق منها علماء الاجتماع والباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية، ولعل اهتمامه بالمدن ونشاتها وتطورها وكيفية ظهورها كان اساس ظهور ميدان علم الاجتماع الحضري حيث اشار ابن خلدون الى نوعين من الحياة وهما النط الحضري والبدوي، كما تطرق الى مواضيع تمس علم الاجتماع العام، علم النفس الاجتماعي، علم النفس السياسي، العصبية، التغير الاجتماعي ونلاحظ أن هذه المواضيع تدخل ضمنها أهم الإسهامات التي تم التطرق لها في هذا البحث بالتالي إذا كانت المجتمعات قد تعرضت لموجات تغير سريعة في وتيرتها مثلها مثل كل مجتمعات العالم، والتي نجم عنها تغيرات في نمط حياتها الاجتماعية وأنظمتها السياسية وفي اقتصادها وثقافتها ثقافيا، لذلك فان محاولة فهم تلك المجتمعات لماضيها وحاضرها سيئ ولم تسوي مشاكلها لا مع ماضيها ولا مع حاضرها وفي هذا السياق قد تكون أفكار ابن خلدون وإسهاماته المختلفة ذات منفعة كبيرة رسم قراءة جديدة وعميقة لمؤلفاته وافكره العلمية التي قد تسمح لهذه المجتمعات معرفة جذور مشاكلها الحاضرة، إن احد اكبر العوائق لتطور المجتمعات قاطبة والمجتمعات العربية بشكل خاص اليوم مرتبط باستيعاب ودمج مفاهيم سياسية مثل الدولة والمواطنة والحريات ولدت في نظام اجتماعي وسياسي مغاير لها، وللتغلب على هذا العائق فان أول خطوة هو فهم أين يكمن الفرق بين النظام الاجتماعي والسياسي في الدول العربية والنظام الأوروبي الحديث أن قراءة ذكية وعميقة لابن خلدون تساعدنا في هذا الزمن الذي نعيش فيه.

النتائج:

من خلال العرض السابق لموضوع اسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع تم التوصل للنتائج الاتية:

1- ابن خلدون كان له الفضل في تأسيس وتطور علم الاجتماع من خلال التطرق لعدة مواضيع فيه والتي شكلت فيما بعد اسس وركائز انطلق منها علماء الاجتماع والباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية.

2- ان اعمال ابن خلدون لم تستثني ميدان مهم من ميادين علم الاجتماع الا وهو التغير الاجتماعي، حيث بدا ذلك جليا في مقدمته عندما تحدث عن تطور المجتمعات من فترة لأخرى ولم يكتفي بذلك بل حدد عوامل اجتماعية واقتصادية من شانها ان تأثر عليه.

3- كان للعلامة ابن خلدون دور في بروز الفكر الاجتماعي وتطوره ووضعه في صورة مراحل معينة كل مرحلة فيها تتسم بطابع خاص ساهم في التمهيد للمرحلة التي تليها، فقد اعتمد في تفسيره ومقارنته للظواهر الاجتماعية في عصره في تحديد الارث الاجتماعي لعلم الاجتماع.

4- ربط ابن خلدون بين تطور العمران وازدهاره وبين شكل الدولة ونظم الحكم السائدة فيها مما طور نظريته في اسس قيام الدول التي تشكل العصبية محورها فهي في ظل تعدد الانساب وعلاقات الدم تلعب دور كبير في بلورة نظام الحكم وشكل الدولة، أي ان العصبية تعتبر محدد اساسي في احداث تغيرات على السلطة الحاكمة.

5- لعب ابن خلدون دور بارز في بلورة نظرية السكان التي اشار لها من خلال تجربته الواسعة وتنقلاته العلمية بين عدة دول عاصر فيها احداث مختلفة، وهي ان كل مجتمع يمر بفترة نمو ونضج واستقرار ومن ثم مرحلة هرم واندثار كما ركز على ان السكان ينمو ويزداد عددهم عندما يكون هناك عمران بشري.

6- شكلت افكار ابن خلدون الانطلاقة الاساسية لعلم الاجتماع اضافة لتطرقه لعلم العمران البشري حيث اشار لضرورة وجود علم يهتم بالظواهر الاجتماعية وكل ما يتعلق بالمجتمعات الانسانية من احداث وعلاقات متبادلة، أي انه كان السباق في اكتشاف العلم واهم مراحل نشأته هي انطلقت من مقدمة ابن خلدون.

7- مدى مساهمة ابن خلدون في تحديد اهم مواضيع علم الاجتماع والقضايا التي تدخل ضمن نطاق اهتماماته العلمية حيث اشار الى ان العمران البشري هو اهم يمسه علم الاجتماع في مجال دراسته، وما ينجم عن هذا العمران من تجمعات بشرية تعيش وفق منظومة علاقات اجتماعية متبادلة مع بعضها البعض.

8- قدم فكر ابن خلدون تصورا لشكل المجتمعات الإسلامية عامة والعربية خاصة من خلال تطرقه لقضايا عميقة لبنيتها الاجتماعية ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والثقافية والتي ترتبط بشكل مباشر بماضيها ولو نسبيا أو ذاتيا وثقافيا.

9- تعتبر أفكار ونظريات ابن خلدون نافعة للفكر الاجتماعي العربي الحديث فهي تقدم شرح وافي عن طبيعة المجتمعات الانسانية في مراحلها الاولى تساعد في حل المشاكل الماضية والحاضرة وفهم جذور الصعوبات الحالية.

10- قدمت افكار ابن خلدون حلول منطقية جاهزة لمختلف المشاكل في شتى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والصحية.

11- قدم عبد الرحمن بن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فكرا علميا سيظل في نظر الباحثين حجة في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، وستظل نظرياته الواردة في مقدمته صالحة للاستفادة منها.

12- لعب ابن خلدون دورا بارزا في بروز مجالات علم الاجتماع كعلم الاجتماع الطبي والحضري والسياسي من خلال مقدمته الشهيرة.

13- ان مؤلف ابن خلدون والمعنون بمقدمة ابن خلدون يشكل مرجع اساسي لمختلف العلوم الاجتماعية والفلسفية لم تضمنت عليه من منهج علمي وطرح منطقي للظواهر الانسانية.

التوصيات:

1- زيادة الاهتمام بالإرث الفكري والاجتماعي العربي بشكل كبير والاستفادة منه في الوقت الحاضر.

2- اقامة التظاهرات الثقافية والفكرية ودفع الشباب للمشاركة فيها للتعرف على دور العلماء العرب في المعرفة الانسانية بشكل عام ودور ابن خلدون بشكل خاص المخدرات نتيجة الفراغ.

3- الاهتمام بفئة الباحثين الشباب بدعمهم وتوفير وسائل البحث والدراسات الاجتماعية لكي يكونوا قادرين على الابداع العلمي المميز.

4- اقامة الندوات والمؤتمرات العلمية للتعريف بدور العلماء والباحثين العرب في ازدهار العلوم ودور ابن خلدون في ظهور علم الاجتماع.

5- انشاء مراكز بحوث للدراسات الاجتماعية مختص بدور العلماء العرب واعمالهم في مختلف المجالات العلمية.

6- الاستفادة من نظريات وافكار ابن خلدون ومنهجه في تفسير الظواهر الانسانية في تحليل الظواهر الاجتماعية في الوقت الحالي وتفسيرها.

7- ضرورة نشر الوعي لدى جميع افراد المجتمع واشراك الاهالي في عمليات مكافحة تعاطي المخدرات واقناعهم بأهمية محاربتها لهم للحصول على حياة افضل من خلال التعاون مع الاجهزة الامنية بتقديم المعلومات والبيانات عن الجماعات الاجرامية التي تروج المخدرات.

8- اجراء البحوث والدراسات في كل اعمال العلامة ابن خلدون في مجال علم الاجتماع والاستفادة منها في الوقت الراهن.

قائمة المصادر والمراجع:

1- بشير، عبدالسلام الدويبي، (2008). مدخل للعلوم الاجتماعية، بنغازي، دار الزحف الاخضر للنشر.

2- بخته، بن فرج الله، (2017)، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية علم اجتماعية عربية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد(21)، الجزائر.

3- عاطف، وصفي، (1971)، الأنثروبولوجيا الثقافية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية.

4- عبدالحميد، لطفي، 1991، مدخل لعلم الاجتماع، الاسكندرية، الانجلو المصرية.

5- لوجلي، صالح الزوي، (1995)، توطين البدو، سبها، منشورات مركز البحوث.

6- محجوب، عطية الفائدي، (2004)، علم الاجتماع الحضري، .ط1، بنغازي، دار الكتب الوطنية.

7- محجوب، عطية الفائدي، (2013)، اساسيات علم السكان، طرابلس، منشورات الجامعة المفتوحة.

8- محمد، حافظ يعقوب، (2006) قضية ابن خلدون، مجلة كتاب في جريدة، العدد (26)، بيروت.

9- محمد، شهاب، (2009)، رواد علم الاجتماع، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للنشر.

10- نادية، صباح، (2008) علم الاجتماع الحضري عند ابن خلدون، مجلة آداب الرافدين، العدد (50).

11- نجلاء، عاطف خليل، (2006)، في علم الاجتماع الطبي، الاسكندرية، مكتبة الانجلو المصرية.